

انتقال مريم العذراء الى السماء بالنفس والجسد

للأب نقولاوس قادري نب

« ان مريم والدة الاله التي حبل بها بلا عيب توجد حية في السماء بجسدها ونفسها المجدين منذ رحيلها عن الارض ».

هذه هي العقيدة الايمانية التي أعلنها قداسة الخبر الاعظم وحددها بسلطانة الاعلى بما انه نائب المسيح ورئيس الكنيسة المنظور والمؤمن على وديعة الايمان. ^{١)} وقد جاء هذا التحديد الحاسم ملاماً لحاجات العصر الذي طنت عليه سيول المادة الجارفة والانانية الجشعة واهانة الامومة واحتقار الطهارة وهدم العفاف . جاء دواء جديداً لهذه الازمة الروحية التي اشعر بها في ايماننا . جاء صوتاً من السماء يسع ابنا. الارض هذا الانطلاق والانفلات من المادة ويرفع بالقلوب الى ما فوق هذا التراب . فالعالم هو بحاجة ماسة الى هذا الانطلاق البسوي ومريم المجدة بجسدها ونفسها تجاوب على هذا التحفز بامطار غزيرة من النعم تدققها على ابنائها الشبان والشابات وعلى المرتبطين برباط الزواج المقدس وعلى غير المقدسين . وهذا السر الاخير الذي ختم حياة مريم العذراء في هذا العالم يسرى سر الانتقال سر التجسد . ويعني ذلك القمل الذي به اصعد الله الى السماء العذراء القديمة لتستع بالنفس والجسد بجسد الخلود الذي لم يحصل عليه القديسون بعد واذا ينتظرون القيامة العامة وبعد يلبسون اجسادهم المجدة ويتعمون بيذا الخلود الدائم لا بفوسهم فحسب بل باجسادهم ايضاً .

فالانتقال بالمعنى الحصري يقوم بيذا الانتصار على الموت الذي يتم في آخر الازمان بالنظر الى مجموع الناس وهذا الانتصار على الموت هو حالة مريم التي تنصت وحدها بيذا الانتصار بعد نهاية حياتها الارضية .

وانتقال العذراء . يشبه صعود المسيح الى السماء . غير ان هذا الصعود قد تم بفعل ارادة شخصية وبقدرة يسوع الذاتية . بينما ان انتقال مريم صار بقدرة الله وهو انعام خاص بمريم ونعمة من الابن لأمه . صعد المسيح بذاته وامسا

(١) اول تشرين الثاني ١٩٥٠ ، برامة البابا بيوس الثاني عشر

العذراء فأصعدتها ملائكة العلي وخدام الكلمة^(١) الى السماء. صعد الرب يسوع بعد ان مرّ بباب الموت ولم يدع الفساد يقترب منه ولا من جسده الطاهر فقام ونفض عنه غبار الموت وطحن حجر الضريح ككتشرة بيضة الصفيور وأبان قوة جناحيه وفتح عرينه بعد ان صرع الموت عدوه وخصه فتح قهره بذاته وصعد الى السماء. بذات سلطانه وبقي على الارض مدة اربعين يوماً يتردد بين تلاميذه ويكلّمهم عن ملكوت ابيه^(٢) واخيراً دعاهم الى جبل الزيتون^(٣) ومن هناك صعد على مرأى من رسله وباركهم ثم حجبتة سحابة عن عيونهم . غير ان حظ الام لم يكن بأقل من حظ الابن. الا اننا لا نعرف شيئاً بتأكيد مثبت اذ ان الاناجيل المقدسة ورسائل يولس واعمال الرسل لم تذكر شيئاً عن هذه الآخرة المقدسة التي قضتها والدة الرب فيما بين تلاميذه . انما نتساءل الآن كما تتساءل المسيحيون في القرون الاولى للندرة : هل وجب على العذراء ان تمر بالموت قبل ان تصل الى الحياة المجيدة بالجسد والنفس ؟ وكيف من الوقت لبثت تحت سيطرة الموت ؟ وهل دفنت حقيقة ؟ واذا كانت قد دفنت هل اقترب منها البلي والفساد المسيطران على ابناء آدم ؟

على هذا السؤال الاخير يمكننا ان نجواب بانبات : اذا كانت مريم العذراء قد ماتت فجدها لم يعرف البلي والفساد . اما عن تحديد الزمن الذي مرّ بين موتها وقيامتها فلا نعرف شيئاً على الاطلاق . واما حقيقة موتها فقد سلمت بيا الكنيسة الشرقية والغربية وخصوصاً حين عينت عيداً لموت وانتقال العذراء المجيدة في الخامس عشر من آب وهذا العيد يرقى الى ما قبل القرن السادس وبعد مجمع افسس سنة ٤٣١ الذي حدد امرمة العذراء الالهية واثبتها عقيدة ايمانية .
المنيدة اللامرية

كان اللاهوتيون والآباء يعتقدون بأن مريم العذراء انتقلت الى السماء بالنفس والجسد ولكن لم يكن لديهم البراهين الكافية لاثبات هذه العقيدة من الرحي المقدس فكانوا اذاً يعتقدون مع الكنيسة المزمّنة ولو لم تحدّد بسلطانها الاعلى هذه الحقيقة الايمانية فتركت للاجيال وللمبقرات القرون ان تشخذ قرائنها

(١) ميثاون ١٥ آب غروب كانيز ص ٨٢٥

(٢) لوقا ٢٤ ٢٥

(٣) أعمال ١-١ و ١٢

وفكرها حتى تتصل الى اثبات اكيد يرتكز على مبادئ علم اللاهوت وعلم الكتاب والمنطق فيرتاح العقل ويطمئن الفؤاد ويتقوى الايمان النير ولو لم يكن هناك شك او ضعف ايمان .

وهذا الاعتقاد النير اخذ نشأته عند نضوج الفكر المسيحي الذي بدأ يخلل نقاط التعاليم المرعي الموحاة بين حقائق اخرى منزلة ويستنتج منها الانعام الخاص بتسجيد جسد مريم وذلك بعد موتها بقليل من الزمن .

وقد علم اللاهوتيون ان الموت شريعة عامة تشمل الانسانية كلها كما يروحي ذلك الكتاب المقدس والليتورجيا وكما يعلم الآباء . وهذا معتقد الكنيسة الذي يثبتته اختبار القرون والاجيال .

يعتقد اكثر اللاهوتيين ان مريم العذراء ماتت وهذا الشعور بموتها قد ساد بين العلماء حتى اصبح موتها حادثاً تاريخياً مثبتاً بالكفاية وحادثاً ايمانياً يرضه التقليد . ان موت مريم العذراء حادث تاريخي والاعتقاد بانتقال جسد العذراء اخذ نموه مع الأيام ولربما وجد من قاوم هذا الاعتقاد لعدم وجود شهود عيانين على قيامة العذراء غير ان الكنائس كلها قد اعتقدت تمام الاعتقاد واتحدت آراؤها - وان كانت قد اختلفت في مسائل اخرى - فقد اتحدت كلها بايمان واحد وصرحت بان العذراء قد انتقلت بعد موتها الى السماء بجسدها ونفسها .

وقد لاحظ بعض علماء اللاهوت ان مسألة موت العذراء مسألة ثانوية والكنيسة ولو كانت تعتقد بالاجماع بموت العذراء فع ذلك لم يحدد موقفها اذ ان الموت غير ضروري للجسد المادي فيمكن لجسد العذراء مريم ان يتسجد بدون ان يمر بسراديب الموت كما كان مقرراً لكل انسان قبل ان يخطأ آدم .

اجل ينفصل الجسد عن النفس بالموت ولا يبقى بينهما من الاتحاد قريب ولا يتم الاتحاد من جديد الا في الدينونة العامة . والعذراء مريم ذهبت من هذا العالم ونأت عنه بعد ان عاشت فيه مثل سائر البشر غير ان الموت لم يستطع ان يقيدها بسلاسه ولم يدن البلى والفساد من ذلك الجسد الطاهر وذلك ، يعلم القديس توما الاكوييني ، لاسباب عديدة اهمها ان الاله الكلمة اتقدها امه واعتقها من ثلاث للمات¹⁾ :

Somme, III P. q. XXVII et commentaire du «Benedicta tu in mulieribus».

انقذها من اللعنة الخاصة بالمرأة وحدها وخلصها من ألم الولادة .
انقذها من اللعنة الخاصة بالرجل وحده وهي بمرق جيئك تأكل خبزك .
اخيراً انقذها من اللعنة المشتركة بين المرأة والرجل وهي « انت تراب
والى التراب تعود » .

تجمرت العذراء مريم من هذه اللعنة الثالثة لانها ما رجعت الى التراب الذي
جبلت منه ولكنها ارتفعت الى السماء بجسدها وارتفعت فوق التراب وصعدت
الى السماء على اجنحة الملائكة .

واسباب هذا الانتقال كما يعلم اللاهوتيون هي طهارة مريم وامومتها
الالهية . فالعذراء انتقلت الى السماء وتمت بجسدها الطاهر بمجد الخلود لان
هذا الجسد جبل به بلا خطيئة أصلية . اذن لما حق على الخلود الجسدي .
انما يبقى حل المسألة هذه : هل يمكننا من دوام بتولية مريم المحددة في
المجامع عقيدة ايمانية هل يمكننا من دوام هذه البتولية ان نتخلص بوضوح
عقيدة الانتقال المجيد كما يستتبع المسبب عن علته . فالاب مرقين جوجي
Martin Jugie¹⁾ لا يعتقد بإمكانية كهذه ولا يقبل هذا التسلسل الشديد
دون ان نمر بالامومة الالهية والجبل بلا عيب فالاهتمام الذي بذله الكلمة الالهية
ليحافظ بنوع عجيب على بتولية امه ودوام هذه البتولية لا يوصلنا الا الى هذه
النتيجة وهي صون الجسد من الفساد والبي .

مع ذلك كثير من آيات الآباء واقوالهم اذ يتكلمون عن الانتقال يفتنون
هذه العقيدة الى عقيدة « البتولية الدائمة » وما حقيقة الانتقال سوى طهارة سامية
وامرمة مقدسة اعني بتولية مخرصة وامومة عذراء . فلم اللاهوت وجد صلات متعددة
بين سر البتولية الدائمة في مريم وبين سر انتقالها بالنفس والجسد الى السماوات .
فالبتولية في اطارها الثلاثة تعود الى الانتقال المجيد . بتولية في الجبل
بها البري . من العيب بتولية في الجبل يصحح المسيح دون علاقات زواجية .
ونفي الشهرة ضروري لينفي عن يسوع دين الخطيئة الاصلية ويبعد عنه الابوة
البشرية . فالجبل البتولي يتطلب اعجوبة كبرى من قبل الله واذا ما تمت هذه
الاعجوبة فلا بد من القول ان الله حفظ مريم وصان جسدها البتولي من الفساد

اذ الفساد هو نتيجة الخطيئة والشبهة والميل غير المرتين . وبما ان الخطيئة الاصلية لم تملك على مريم ولا برهة من الزمن فهي لم تملك حتى في نتائجها وعاقبتها التي هي الفساد والبلى الجسدي .

واما الميلاد البتولي فلا تتطلبه الاسباب القصية اذ ان اللعنة امتدت على أوجاع الميلاد فقط . ففي حالة البرارة الاصلية كان على المرأة ان تلد كما في النظام الحالي ولكن بدون ألم . فالعجوبة الثانية لبتولية مريم تفوق كثيراً حالة البرارة الأولية . مع ذلك يقول العلامة فريثوف « في الميلاد البتولي تحمرت مريم من اللعنة القائلة « بالأوجاع تلدين »^(١) .

فالبتولية الدائمة التي حافظت عليها المذراء . كل حياتها حتى في وبعد ميلاد المسيح فهي انتصار خالد على الموت (القديس غريغوريوس نيصس) - فليمت بتولية مريم بتولية حرب وعراك كما هي فينا بل هي بتولية البرارة الاصلية التي تولى حقاً رفياً على النجاة من البلى والفساد في القبر . وهذا التخلص من الفساد والبلى لا يجب انتقالاً بل طريقاً تؤدي الى الانتقال المجيد . وجدت الكنيسة المقدسة في درسها لبتولية مريم انه من المستحيل على هذا الجسد الطاهر والمختص بالأم النقية ان يرضى بالفساد ويخضع له فن اللائق اذن ان هذا الجسد الطاهر في الحبل وفي الولادة وبعد الولادة^(٢) . من اللائق به ان لا يجه نساد ولا يلبث رهن الديار . وكما ان النفس الطاهرة تتحد ضرورة بالله هكذا من الضروري ان الجسد الطاهر في هذه الحالات الثلاث يبقى بعيداً من الفساد ومصوناً من كل بلى وغيار وبالنتيجة ينتقل من هذه الأرض ويصعد ليتحد بالله بكامل الكيان .

مر الانتقال والكتاب المقدس

هل نجد في الكتاب المقدس اثرًا للانتقال الذي ختم حياة ام الاله على الارض؟ ان اللاهوتيين يعلمون باتفاق الرأي ان عقيدة الانتقال هي غير مذكورة بوضوح وبنوع صريح في الكتب الموحاة بحيث لا نجد لا في العهد القديم ولا في العهد الجديد شهادات صريحة على النزوع الذي به غادرت مريم المذراء . هذه

(١) تكوين ٣-١٦

(٢) القديس يوحنا الدمشقي اوكلينخوس لمن سابع صفحة ٢٤٢ من طبعة دير مار

يوحنا الشوير ١٨٦٦

الأرض لتذهب الى السماء لا نتعجب من صمت كهذا حتى في العهد الجديد وخصوصاً في الأناجيل الأولى الثلاثة والأعمال ورسائل بولس لأنها قد كتبت قبل موت العذراء كذلك لا نجد أثراً على الانتقال في العهد القديم لأنه سابق الأوان وقد كتب قبل ميلاد العذراء.. وبالنتيجة لا يتكلم شيئاً وضعياً لا عن موتها ولا عن انتقالها . قلنا لا يتكلم العهد القديم شيئاً لا بالنص الحرفي ولا بالمعنى المادّي ولكنّه تكلم بالإشارات والرموز وبالمعنى الروحي . فالآباء القديسون والخطباء والوعاظ استمروا بعض الآيات والرموز الكتابية وطبقوا مانيها على مريم البتول « اذ كان كل شيء يحدث برموز » .

لقد استخدم الآباء بعض الآيات من كتاب المزامير ونشيد الأناشيد ليثبتوا انتقال العذراء واختاروا المعنى الروحي وفضلوه على المعنى الحرفي لأن فيه ملائمة مع الحقيقة . وقد دلوا على انتقال مريم بالجسد والنفس الى السماء وعلى انتصارها على الفساد بقول داود النبي : « قامت الملكة من عن يمينك بذهب ووفير^(١) » . وشبهوا مريم بالتبوت الناطق الحي الذي هو اجمل بكثير من تابوت العهد فقالوا : « قم ، يا رب ، الى راحتك انت وتابوت قدسك^(٢) وفهموا ان معنى كلمة « تابوت » يعني جسد مريم العذراء الذي كان بمثابة هيكل لجسد يسوع المسيح في حين تجسده في إحشاء البتول .

واكثر الخطباء المسيحيين يتغنون بانتقال والدة الإله بآية سليمان في نشيد الأناشيد : « من هذه الطالعة من القفر كعمود من مجرور معطرة بالمر واللبان^(٣) » فالطالعة من القفر هي مريم الصاعدة الى السماء بالجسد والنفس « من هذه الطالعة من القفر المستندة الى حبيبها^(٤) » ولا يغيب عن فكرهم ذلك النور الرضا الذي تنعم به مريم العذراء . مجدها فيصرخون مع سليمان : « من هذه المشرقة كالصبح الجميلة كالقمر المختارة كالشس^(٥) » . من الصعب جداً ان ترى في هذه الآيات تمهيداً واضحاً لليوم الذي فيه صعدت مريم العذراء الى السماء انما نجد مطابقة تقيّة عاطفية لا غير .

وقد وجد بعض اللاهوتيين تلميحات الى انتقال مريم في سفر الرؤيا ليوحنا

(١) مزموذ ٤٤ - ١٠

(٢) نشيد ٣ - ٦

(٣) نشيد ٦ - ١٠

(٤) نشيد ٨ - ٤

(٥) مزموذ ١٣١ - ٨

الجيب ، بحيث يجدون مطابقة سديدة لهذه العقيدة في ذلك الصراع القائم بين المرأة والتنين. ففي الفصل الثاني عشر نرى الآية العظيمة : « وظهرت في السماء. آية عظيمة امرأة ملتحفة بالشمس وتحت قدمها القمر وعلى رأسها اكليل من اثني عشر كوكباً^(١) ». رأى كثير من الآباء في هذه « الآية العظيمة » مريم العذراء الملتحفة بالشمس والمتوجة باثني عشر كوكباً وهذا من الاعتقاد الأولي بين المفسرين والآباء. من أريس اسقف قيصرية ومتوديوس اسقف اورشليم والقديس اغسطينوس وكلهم يؤكدون ان هذه المرأة هي مريم ام الله ففي هذا الفصل يرى يوحنا ام الله القديسة ترتفع الى المظال السماوية وتتسع بمجد الخلود ويرى في حرب المرأة من وجه التنين تليحاً الى الانتقال : « وهربت المرأة الى البرية وقد اغطيت جناحي النسر العظيم لتطير من وجه الحية الى البرية الى موضعها حيث قُومال زماناً وزمانين ونصف زمان^(٢) ». فالنسر هو الله هو السيد المسيح الذي خلص امه من اضطهاد ابليس بنقلها الى المكان المد لها في السماء . ونحن نعتقد ان هذه المطابقة التي فيها كثير من الآباء واللاهوتيين هي جذيرة بريم التي تخلصت من يد ابليس ومن يد التنين بانتقالها بالجسد والنفس الى السماء .

وربما استخدم اللاهوتيون بعض الاشارات الضمنية وفسروها بالمعنى الروحي وطبقوها على شخص مريم ومن هذه الاشارات المضمرة قول الله للحية التي تجرم الشيطان عدو البشر : « اني اجعل عداوة بينك وبين المرأة ، وبين نسلك ونسلها فهو يسحق رأسك وانت ترصدن عقبه^(٣) ». فالمرأة التي تسحق رأس الحية هي مريم العذراء. تسحقه في الجبل يا الهري من الدنس وفي موتها وانتقالها اذ تتخلص من سطوة الفساد والبلى الذي هو نتيجة الخطيئة ومريم بريئة من الخطيئة اذن لا يدنو منها الفساد . واستتج الملاء انتقال العذراء من قول الملاك لها : « السلام عليك يا مريم يا مبتلئة نعمة الرب ملك » . فهذه المبتلئة من نعم الرب هي حائزة ايضاً على النعمة الكبرى على تجييد جسدها في اعجد الخلود ولايتها مباركة في النساء ومباركة ثمرة بطنها^(٤) . مع ذلك لا يمكن للاهوتيين ان يبرهنوا على ان هذه الايات تعني بنصها الحرفي على انتقال البتول بل مطابقة معناها الروحي على صعود العذراء بالنفس والجسد وهكذا تمك الآباء في

(١) رؤيا ١٢-١ (٢) رؤيا ١٢-١٤ (٣) تكويز ٣-١٥ (٤) لوقا ١-٤٢

تفسيرهم واستخلاصهم عقيدة الانتقال من الاشارات والرموز الكتابية فحسب.
 ماذا يدع الآباء. عن انتقال مريم العذراء الى السماء.

ان الشهادات على موت وانتقال مريم لقليلة ونادرة في القرون الستة الاولى للمسيحية قبل المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ وما لدينا شهادة واضحة الا جملة صغيرة جاءت عرضاً في تعاليم اوريجينوس حيث قال : « ان مريم العذراء لبثت بتولاً حتى موثها. » وهكذا قال المعلمون افرام وايرونيوس والقديس اغستينوس وغريغوس نيصص اخو باسيلوس الكبير . وفي القرن السادس راجت احذوثة سماها المؤرخون المتأخرون « الاحذوثة الافثيمية Histoire Eutymiaque » الموجودة في الحطبة الثانية على الانتقال ليوحنا الدمشقي . وملخص الاحذوثة ان الملك ماركيانوس طلب سنة ٤٥١ من المطران جوفينال اسقف اورشليم يوم كان في القسطنطينية في مجمع خلکیدونية طلب منه فخرية من جد والدة الاله ليضمها في الكنيسة التي شيدها الملك في فلاشرفاس على اسم والدة الاله . فاجابته الاسقف ان العذراء ماتت وانتقلت تجسدها الى مكان غير معلوم بحيث يتمتع بدم البلي قبل القيامة . وذلك لان قبر العذراء وجد فارغاً وليس لدينا ولا فخرية من جسد العذراء »^{١١} .

والتقليد الموجود في الكسب المزيفية يجربنا انه بعد موت العذراء بثلاثة ايام وصل توما من جهات الهند الى اورشليم وطلب من الرسل ان يشاهد لآخر مرة جسد العذراء . ويودعها قبل ان يغادر اورشليم فذهب الرسل مع توما وفتحوا القبر وازاحوا الحجر فلم يجدوا جسد البتول انما وجدوا الكفن والثوب والزمار . وهكذا انتشرت في الاجيال المتأخرة التي فيها ظهرت هذه الكتب المزيفية انتشرت احذوثة انتقال العذراء . وكرسها العيد الرسمي الذي تعين بنوع ثابت في الخامس عشر من آب وبتناسبة المجد ظهرت خطب الآباء . في انتقال العذراء . وانشيد الشعراء . والمرغنين الذين ملأوا الكون من صدى انعامهم ووثبة ايمانهم فكان لهذه الاصدا . الوقع الحسن في قلوب المؤمنين على اختلاف طبقاتهم ووجناسهم فأشادوا على كل قلة وفي كل صقع كنيسة تعبر عن وحدة ايمانهم في

موت العذراء وانتقالها الى السماء . لنسح الان بعض اقوال الآباء في انتقال العذراء : قال القديس جرمانوس بطريرك القسطنطينية مخاطباً العذراء . الوالدة : « كيف تقدرين ان تعانقي الفساد وانت بحمدك الذي اعطيته لابن الله خلصت الجنس البشري من الفساد . انت غبت عن معاشره الناس فكان موتك ضرورياً ليثبت حقيقة جسد الكلمة الذي منك صار انساناً ... وقد اراد هو نفسه ان يموت وهكذا اكل معجزتين الاولى في قبره المحيي والثانية في قبرك الحمي فكلاهما تقبلنا جسد الابن وجسد الوالدة فلا هذا ولا ذاك استطاع ان يحفظ ضمنه الجسد حتى يفنيه الفساد . اذ لم يكن لائقاً ان تلبوت جسدها الذي استوعب من الله يسقط تراباً كباقي الاجساد اجل كان ينبغي ان الحياة تسكن مع الحياة انها ارتاحت بالموت لكي تنام لحظة وتقوم بعدها»^(١) .

والقديس يوحنا الدمشقي لفظ في ليلة واحدة من ليالي العيد ثلاث خطب في موت العذراء وانتقالها المجيد وهو مؤمن بهذه الحقيقة الايمانية لانها المجد الاثيل لمريم والدة الرب الدائمة البتولية والدمشقي يثبت ايمانه بهذه العقيدة على برهان اللياقة ويزيد عليه شيئاً آخر يستخلصه من دوام بتولية مريم اذ يقول : اذا كان الابن لم يسخ بأن يتغير بالامومة كمال والدته الطيبي فما سمح ايضاً بفساد جسد امه بالموت . كان من اللائق ان الأم تتحد بالابن لانها جعلت نظرها ثابتاً الى ابنها المصلوب وكان من اللائق ان تبصره في مجد الآب بأبصارها ومن اللائق ان يشرك الكاهن مريم في عرشه ليكرمها الكون كله . ثم يزيد افكاره وضوحاً اذ يقول : « بعدل ألسنت حواء للعرز والموت بما انها اصغت لشربات العدو الحداغ غير ان البتول المباركة كانت خاضعة كل الخضوع لصوت الله وصارت امأ بفضل روح الله القدوس فلم يمكنها ان تحتل طينان الموت ولا التفكك في الرمس . »

« بماذا اسميك ايها البتول الكلية القداسة وبماذا اسمي السر هذا المكمل فيك ؟ ان نفسك انفصلت عن جسدك حقاً ولكن جسدك وان استودع القبر فلا يلبث فيه لئلا يتفكك . ان امرتك لم تعدمك طهارتك وعدم الفساد يقاوم الموت وكما ان الشمس اذا حجبت القبر لا تفقد من بهائها هكذا انت

ايتها العذراء. وان كسفت قليلاً في ظلمات الموت مع ذلك لم تتوقفي عن دفع الضياء. فمبورك لم يكن سوى نعام قصير»^(١).

وقبل الادمشقي نجد شهادات في خطب القديس اندراوس اسقف اتريطس وهو من طبيعة القرن الثامن مات سنة ٧٢٠ قال: «يعتقد كل انسان ان الاعجوبة التي تمت في ايليا واخنوخ والذين ارتقوا الى السماء بدون ان يروا باب الموت قد تحققت في العذراء المجيدة فهي وحيدة لا مثيل لها لانه لمشهد جديد حقاً مشهد امرأة اظهر من السماء. تلج بتابوت جدها الى السموات مشهد عجيب جديد هو ان العذراء ارتفعت ميلادها فوق السرافيم وصعدت بالقرب من الله مشهد عجيب جديد مشهد ام الحياة التي كانت نهاية حياتها الارضية كآخرة ابنا يسوع الحبيب»^(٢).

وبين القرن السابع والسادس عاش القديس مودستوس البطريرك الاورشليمي وهو شاهد على التقليد الحقيقي الذي كان سائداً في ايامه ويشهد ان جماهير غفيرة كانت تؤم زيارة قبر العذراء في الجبلانية مع علمهم بأن القبر كان فارغاً فيقول: «عندما اكملت السفينة الحية التي حملت في احشائها الاله اكملت مسيرها رمت الميرسي في ميناء أمين هادي الى الابد حيث كان بانتظارها ملك الكون الذي ولد منها وخلص الاسرة البشرية من طوفان الاثم وقد ارسل الاله من علو السماء جوقة من الملائكة لتحمل اليه تيوبته المقدس الذي تغنى به النبي داود حين قال: «قم يا رب الى راحتك انت وتابوت قدسك» فهي تابوت لا مثيل له اذ لم يصنع بيد انسان بل هي صنع الله انها غير موشاة بالذهب ولكنها تسطع ببهاء الروح القدس الساكن فيها والمسيح الذي اخذ منها الطبيعة البشرية الكاملة دعاها اليه وعلى سبيل المقايضة ألبس جدها ثوب عدم الفناء وتوجهها بجهد فريد قامت الملكة عن عين الملك»^(٣). انها تملك الى الابد حاترة على الحياة التي لا تنتهي وقد اتحدت بابنها الذي دعاها من القبر.

شهادة الليتورجيا والكب الطقسية

بهذه الشهادات من الآباء والكسبة الاقدمين نتصل بالقرون الاولى بحيث

P. G. t. XCVI col. 728 (١)

P. G. t. XCVII col. 1081 (٢)

P. G. t. L XXXVII col. 3392 (٣)

نقف على لمحة من تقوى المؤمنين فتقدم لنا برهاناً على انه منذ انتشار الدين المسيحي ونضوج الفكر اللاهوتي وانتصار الكنيسة اخذ المؤمنون يفكرون بانتصار العذراء ويتغنون به في صلواتهم وانشيدهم الدينية التي هي صدى ايمانهم بهذه العقيدة التي اخذت اليوم غايتها وملاها من التلميح الرسولي والسلطة الكنسية العليا التي ارتكزت في تحديد العقيدة على صلوات الليتورجيا لانه بحسب المثل البائر « شريمة الصلاة هي مطابقة لشريعة الايمان » والليتورجيا لا تخلق الايمان بل هي ثمرته .

ولو تصفحنا كتاب الفرض في المطقس اليوناني لوجدنا ان خدمة عيد الانتقال في الخامس عشر من آب غنية بالعقائد والحقائق اللاهوتية وهي مسبوكة بقالب شعري لذيذ وواضح : نرى ان العذراء « البارزة من حقور مائت قد ماتت بحسب سنة الطبيعة »^(١) وانها لم تأب الدفن لان يسوع المسيح ابنها قد دفن ، ويوحنا الدمشقي شاعر العذراء ويوق الكنيسة وقياس الروح القدس يقول : اذا كان ثمرة البتول غير المدرك قد احتل الدفن باختياره فكيف تأبى الدفن تلك التي ولدته بغير زواج^(٢) . ثم يزيد توضيح معتقده « انها خضعت لتواميس الطبيعة مضارعة ابنها وخالقتها وماتت معه لتنهض معه الى الابد^(٣) » وماتت لما بلغت الى منتهى العمر^(٤) .

على ان الموت الذي هو سبب غيار وفساد للجميع لم يكن سوى سهم لذلك الجسم الذي لم يعرف الخطيئة ولم يخضع لسطان الفساد : فالذي صان العذراء في الولادة صان جسمها في الرمس بغير فساد^(٥) . ولم يشترك جسدها الطاهر في خيبة البنية^(٦) لان في رقادها اذن موتاً بغير فساد وهذا الموت اصبح للعذراء الأم أفضل من حياة دائمة ، لانه نقل البتول من الوقيات الى الحياة الالهية^(٧) . اجل لبث الجسم بعد الموت مصوناً بغير اذى « وصار انتقال من الأرض الى السماء بطريقتة مستغربة بالحقيقة وقد تم هذا الانتقال بسرعة » لان البتول

(١) مينارن ١٥ شهر آب ٨٣٩ قانون يوحنا الدمشقي اودية ٣ - ٢

(٢) اودية ٤ - ٤ قانون اول ٦ - ٢

(٣) قانون اول اودية ١ - ٢ (٤) اودية ٦ - ٢

(٥) ١٤ آب قانون اودية ٨ - ١ (٦) اودية ٦ - ٢

لكيما تشاهد جمال ابنها عمدت اليه سريراً^{١١} . فاصبح رمها الالهي شيئاً وملءوا من نعمة جسدها يتدفق لنا يجداول الشفاء . كأنهار تزيل الارجاع كلها^{١٢} .

وموضوع العيد في الكنيسة البيزنطية يدور على هاتين المقدتين اننا نعبد لذكور وقادك الموقر ولارتقائك بمجد الى ابنك وإلهك^{١٣} . والتديس تارفانوس المرخم يقول للعذراء : « ان رمك الشريف يركز الآن بدفك وبانتقالك بالجسد الى السموات^{١٤} .

Ὁ Τάφος σου Κηρύττει, Πανάμωμε, τὴν παρῆν σου, καὶ τὴν μετὰ σώματος πρὸς οὐρανοὺς νῦν Μετάστασιν.

Ménées. p. 400.

وهذا الارتقاء قد تم بالنفس والجسد . انتقلت نفسها ولكن ليس من العجب الكبير ان تنتقل روح العذراء الى السماء فهذا انعام شامل لكل الذين عاشوا بالتقوى والقداسة ولكن الانعام الخاص بمريم انها انتقلت الى السماء بنفسها وجسدها ولكن لا بقوتها الذاتية بل بقوة يسوع ابنها الالهي . ففي القانون الموضوع لتقدمة عيد انتقال العذراء . نجد هذه الشهادة الصريحة بانتقال جسد العذراء : « لتسبح الرب الذي نقل امه الطاهرة والكلية البر والقداسة بالجسد الى بلدة الأحياء^{١٥} .

وهناك تصريحات اخرى : « ايها البتول ان جسدي قد صعد من القبر وابقى لنا فيه البركة^{١٦} » . ثم اننا نحس من خلال الاناشيد « ان الملائكة

(١) ١٤ آب قانون ١ - ٢

(٢) ١٤ آب قانون اودية ٢ - ٢

(٣) ١ كابتلاري ١٤ آب

(٤) قانون مقدمة ٥ - ١

(٥) ١٤ آب قانون ١ - ١

Ἄσωμεν τῷ Κυρίῳ, τῷ ἐν χώρῃ ζώντων μεταστῆσῆντι τὴν αὐτοῦ κατὰ σάρκα Παναγίαν Μητέρα.

(٦) ١٤ آب قانون ٢ - ٢

Ἦβηθη τὸ σῶμα μὲν τοῦ τάφου παραμένει· δὲ ἡμῖν· ἡ εὐλογία· Παρθένε ἀγνή (409).

والمراتب غير الهولية قد وافت من السماء الى صهيون يعتنون بجسها^{١)} . وان الاجناد والملائكة في حين الانتقال ستروا جسدها الرب القابل الاله بأجنحتهم الموقرة بخوف وفرح^{٢)} وافوا ليشيخوا الجسم القابل الاله الفائق الكرامة^{٣)} . فهذا الجسد الذي لم يشترك بحجرة المية ولا بفساد العبر قد صد من تشويش وجلبه العالمات بأسرها^{٤)} .

انتقلت العذراء الى السماء بنفسها وجسدها على ايدي الملائكة وهي الان قرب ابنا الالهي لان البتول الملكة وعروس الاله تنقل الى ابنا وترتقي من الارض لتنظم في الملكة الالهية^{٥)} . وقد قبلتها «المظال السماوية بما انها سماوية ومثلت هناك مزدانة بالبهجة كمروس الاله الملك المتزعم عن كل رعية^{٦)}» واذا بها الملكة التي قامت من عن عين الملك موشاة بزينة الذهب المؤشبي^{٧)} . وتصيح انذاك حسب القول الليتورجي «البرج المرصوف بالذهب والمدينة ذات الأتني عشر سوراً والكروسي المنقط بالشمس وسدة الملك^{٨)}» التي هي وحدها مباركة ومجدة يجدها .

ان صوت الحبر الاعظم البابا بيوس الثاني عشر سنع في شكل اقطار العالم قد اعلن وجدد بسلطانه الاعلى بما انه رئيس الكنيسة المنظور والمحافظ الدقيق على وديعة الايمان حدد تلك العقيدة التي شغلت فكر العلماء حقباً بطولية من الزمن حدد انتقال العذراء الى السماء بالنفس والجسد وجعل من هذه الحقيقة قوة حياة وشمة مجد فدعا بصوته الوالدي ابنا . المسيحية ليكرموا البتول في تجيدها وحض الجميع على السير على هدي هذه الأم التي اصبحنا اليرم بحاجة الى نورها ومثالها الاعلى لتقود الاباء والامهات الى احترام الامومة الطاهرة وحتى تعلم العذارى والشبان جمال البتولية المكرمة فيكون تحديد هذه العقيدة الايمانية حائزاً لنا جديداً لترتفع عن المادة التي تطفو على وجه الانسانية المتأللة فنخفف نحن بقداستنا شدة هذه السيول الجارفة وترفع بالنفوس الى الاله الحي مصدر المجد وينبوع كل فرح وسعادة .

(٥) ٥ آب قانون ٧-٢
(٦) قانون الدستني ١-٢
(٧) مزمور ١٠-١٠
(٨) ٣٠ ٢٤ آكابيلاري ٣

(١) ١٥ آب قانون ١-٢
(٢) ١٥ آب قانون ٦-٢
(٣) ذكنا كاتين غروب سادس .
(٤) ١٤ آب قانون ٦-٢